

إنسان في حيز الوجود

مجموعة مسرحية

تأليف: دلال خليفة

إنسان في حيز الوجود

أو:

آخر الأمسيات

(مشهد من المسرحية الأولى بالمجموعة)

الشخصيات

الفيلسوف	رجل في أواخر الأربعينات، نحيف، ورث الهيئة.
زوجة الفيلسوف	امرأة أربعينية، حسنة المظهر، متوسطة الجمال، وتميل إلى البدانة.
وردة	خادمة في العشرين من عمرها.
البستاني	رجل في الخمسينات.
حمالان	

الأمسية الأولى

المشهد الأول

المكان: غرفة جلوس بها أريكة على اليمين يقابلها على الشمال كرسي كبير، عن شماله مكتب عليه آلة كاتبة وكتب وأوراق – يفصل بينه وبين الكرسي سلة مهملات صغيرة – وعن يمينه مقعد خشبي، وأمامه (الكرسي) منضدة صغيرة عليها بضعة كتب وخلفه مباشرة نافذة متوسطة الحجم ستارها نصف مسدول. وخلف كل ذلك – في أقصى الغرفة – منضدة طعام حولها ستة مقاعد. وللغرفة باب على الشمال (خلف المكتب) يؤدي إلى حديقة المنزل والخارج، وآخر في الحائط الأوسط (خلف منضدة الطعام) يؤدي إلى الداخل، وثالث على اليمين يؤدي إلى المطبخ.

يدخل الفيلسوف ويده كيس صغير وخلفه حمالان يحملان صناديق ضخمة ويضعانها على الأرض في منتصف الغرفة.

يضع الفيلسوف الكيس الصغير فوق الصناديق الضخمة وعندما يرفع رأسه يرى الحمالين.

الفيلسوف : من أنتما؟

الحمال الأول : نحن الحمالان يا سيدي.

الفيلسوف : الحمالان؟ ماذا تفعلان هنا؟

ينظر الحمالان أحدهما إلى الآخر في دهشة ثم يلتفتان إليه.

الحمال الثاني : لقد جننا معك، أنت أحضرتنا إلى هنا.

الفيلسوف : (بدهشة) من أين أحضرتكما؟

الحمال الثاني : أحضرتنا من السوق.

الفيلسوف : (مبتسماً وهو يهز رأسه نفيًا) لا أظن أنني اشتريت حمالين.

الحمال الأول : (مستاءً) لم تشتترنا ولكن استأجرتنا لنحمل لك هذه الصناديق.

الفيلسوف : (ينظر إلى الصناديق) صحيح، صحيح. أعذراني فذاكرتي ضعيفةٌ جداً.

الحمال الثاني : لا عليك.

الفيلسوف : (مترددًا) وماذا تريدان؟

الحمال الأول : نريد نقودنا.

الفيلسوف : هل أخذت منكما نقوداً؟

الحمال الأول : لا ولكننا حملنا لك هذه الصناديق ونريد ثمن ذلك.

الفيلسوف : أعذراني فذاكرتي ضعيفة.

الحمال الثاني : ومع ذلك نريد نقودنا.

الفيلسوف : حسناً. (يدخل يده في جيبه ويخرج ورقةً مطويةً ويقدمها للحمال الأول) تفضل.

الحمال الأول : (ينظر في الورقة ثم يناولها الفيلسوف غاضباً) لا نريد هذه، خذها.

الفيلسوف : لماذا؟ (يأخذ الورقة وينظر إليها) أنا آسف لقد ظننت أنها ورقة مالية، نسيت أنني

قصصت هذا الإعلان ووضعت هذه القصاصة في جيبتي كي لا يفوتني معرض الكتب

المعلن عنه، أشكركما لأنكما ذكرتماني به قبل أن يفوتني.

الحمال الأول : معرض الكتب الكبير؟ ولكنه فاتك بالفعل، لقد انتهى في الأسبوع الماضي.

الفيلسوف : (يشهق) فاتني؟ (ينظر إلى الورقة مرة أخرى) نعم، لقد فاتني، (يتنهد بحسرة) كل

الأشياء الجميلة في الحياة تفوتني، (يلتفت للحمالين) هل تعرفان لماذا؟

الحمال الثاني : (مترددًا) لا..

الفيلسوف : لأن الزمن أسرع مني بكثير.. الزمن يسحقنا لأنه أقوى من الإنسان وأقوى من كل شيء، (يخطو إلى الأمام) الزمن...

الحمال الثاني : (مقاطعاً) دع عنك الزمن الآن وأعطنا نقودنا، نريد أن نذهب.

الفيلسوف : معظم الناس يكرهون التأمل والفكر ويهربون عندما يسمعون شيئاً من التفكير.

الحمال الأول : نحن لا نريد الهروب من الت... مما ذكرت ولكن لدينا أعمال كثيرة ولا نريد أن نضيع الوقت.

الفيلسوف : أنتما لا تريدان إضاعة الوقت، هل تعلمان لماذا؟ لأنكما مثل كل الناس تخافان من الزمن.. كل الناس يخافون منه لأنه يسحقهم، يلهبهم بسياطه.

الحمال الثاني : (بغضب) اسمع أيها الرجل، أعطنا نقودنا ودعنا نذهب.

الفيلسوف : (ينظر إليهما مستغرباً) أيّة نقود؟ آه.. النقود! تذكرت الآن. أعذراني..

الحمال الثاني : نعم... ذاكرتك ضعيفة ولكننا نريد نقودنا... الآن!

الحمال الأول : وإذا لم نأخذها الآن فسنحمل هذه الصناديق إلى السوق ثانية.

الفيلسوف : أتركها هذه الصناديق. سأدفع لكما النقود الآن. (يدخل يده في جيبه ويخرج ورقة مطوية ويقدمها للحمال الثاني) تفضل.

ينظر الحمال الثاني في الورقة.

الحمال الثاني : (غاضباً) ألا تكف عن هذه الألاعيب؟

الفيلسوف : (ببراءة) أية الألاعيب؟

الحمال الثاني : (رافعاً الورقة أمام عين الفيلسوف) هل هذه نقود؟

الفيلسوف : (يعدل نظارته ويتأمل الورقة) لا، هذه وصفة كتبها لي طبيب منذ شهر ونسيت أن أحضر الدواء.

الحمال الثاني : (وهو ما يزال غاضباً) خذ إذن وصفتك.

الفيلسوف : لقد شُفيت الآن، ومع ذلك فالدواء الحقيقي ليس في تلك الزجاجات وإنما في قوة

الإرادة والزمن، وما الأدوية إلا عوامل مساعدة.. (يهز رأسه رفضاً وهو ينظر إلى

الوصفة الطبية في يد الحمال) لا أحتاج إلى هذه الوصفة، لا أريدها.

الحمال الثاني : (صارخاً بغضب) وأنا أيضاً لا أريدها.

الفيلسوف : (مستاءً) ماذا تريد إذا؟

الحمال الثاني : (بصوتٍ محبطٍ) ماذا أريد؟

الفيلسوف : نعم، ماذا تريد؟

الحمال الثاني : (منهاراً) لا أريد شيئاً (يلتفت إلى زميله) هل تريد شيئاً؟

الحمال الأول : (منهاراً أيضاً) لا، لا.. لا أريد شيئاً.

الحمال الثاني : هيا نذهب إذاً.

يتجه الحمالان إلى الباب ويخرجان ويتبعهما الفيلسوف ويقف عند الباب وهو ينظر إليهما.

الفيلسوف : لا تريدان شيئاً؟ لماذا أتيتما إذاً؟

تدخل زوجة الفيلسوف من الباب المؤدي إلى الداخل. تُفاجأ برؤية الصناديق الكبيرة وتقف بدهشةٍ أمامها، يقترب منها زوجها.

الزوجة : ما هذه الأشياء؟

الفيلسوف : هذه الأشياء؟ (يتأمل الصناديق) إن لهذه الأشياء قصة يا زوجتي العزيزة.

الزوجة : (بتهكم) أسمعني إياها يا زوجي العزيز.

الفيلسوف : تعلمين أنني لم أشتري فاكهةً منذ مدة طويلة.

الزوجة : مع أننا نسكن قريباً من السوق!

الفيلسوف : إنني أنسى دائماً.

الزوجة : وأعلم ذلك أيضاً.

الفيلسوف : اليوم كنت أتمشى بالصدفة بالقرب من السوق... وأنت تعلمين أنني عندما أتمشى وأنا أفكر لا أرى شيئاً..

الزوجة : أعلم ذلك، فكثيراً ما أحضرك الناس إلى هنا يحملونك وقد عادوا بك من قسم الطوارئ بعد أن كانوا أخرجوك من حُفرٍ أو مستنقعات...

الفيلسوف : (مقاطعاً بهدوء) لا تكلمي فأنا لا أحب استرجاع الخبرات غير السارة.

الزوجة : حسناً وما الذي جعلك ترى السوق؟

الفيلسوف : كان الحرُّ شديداً وأخذ العرق يسيل على وجهي وضايقتني بشكلٍ قطع عليّ تفكيري وتأملاتي فأخرجت منديلي من جيبي لأجفف عرقي، ولكن قبل أن أصل به إلى وجهي طار مني المنديل فاتبعته، وعندما سقط على الأرض انحنيت لأخذه فرأيت سائلاً

جالساً على الأرض ماداً يده فعرفت أنني في السوق، فرفعت رأسي فإذا بي أمام دُكان فاكهاني، فتذكرت أننا بحاجةٍ إلى فاكهة منذ أشهر.

الزوجة : (بدهشة) واشتريت ملء هذه الصناديق من الفاكهة؟؟!

الفيلسوف : لا.. انتظري بقيّة الحكاية.

الزوجة : (تتنهد بملل) هاتها.

الفيلسوف : فدخلت إلى الدكان وأخذت أنظر في حيرةٍ إلى الفواكه المكّسةِ أمامي فسألني البائع عمّا بي فأخبرته أنّي لا أعرف ماذا أشتري، فاقترح عليّ أن أشتري برتقالاً فقلت له إنني أكره البرتقال فاقترح شراء تفاح فقلت له "زوجتي تكره التفاح"، وظل يقترح ويقترح وكلّما اقترح شيئاً وجدتُ أن أحدنا يكرهه..

الزوجة : غريب جداً! كيف تتذكر ما نحب وما نكره من الفواكه وتنسى ما يمرُّ على حدوثه خمسُ دقائق؟

الفيلسوف : لأن ذاكرتي لم تضعف إلا في السنوات الأخيرة.

الزوجة : صحيح. عندما تزاممت المعلومات في عقلك أخذت تنتثر هنا وهناك فتختفي من ذهنك! أكمل.

الفيلسوف : ماذا أكمل؟ أعني ماذا كنت أقول؟

الزوجة : ماذا حدث بعد أن وجدتُ أن الفواكه التي اقترح الفكهاني شراءها غير مناسبةٍ لنا؟

الفيلسوف : الفاكهاني.. نعم! عندما رأى أن الفواكه التي كان يقترحها تلقى نفوراً إما عندي أو عندك غضبٍ وقال: "ألا توجد فاكهةٌ تحبّانها أنتما الإثنين؟" (يرنو إلى الأمام ببصره مفكراً) لا تستطيعين تخيّل ما أثاره ذلك السؤال في نفسي من تفكّرٍ وتأملٍ..

الزوجة : سؤال غاضب من فاكهاني جاهل يثير في نفسك من التفكير والتأمّل ما هو فوق التخيّل!

الفيلسوف : نعم، فقد مكنتني هذا السؤال من وضع يدي على أحد أسرار الخلاف المتواصل بيننا وهو أننا لا نشترك في حبّ شيء، فما أكرهه تحببته وما أحبه تكرهينه فقررت أن أحسن العلاقة بيننا بشراء شيءٍ نحبّه نحن الإثنين، ولم يكن ذلك سهلاً.

الزوجة : أعلم جيداً!

الفيلسوف : (مغمضاً عينيه) فأخذت أفكر وأفكر وأنا أتأمل المعنى الكبير الذي انطوت عليه كلمة الفاكهاني وسبحت في بحرٍ من الأفكار بل وهمت في عالمٍ بعيدٍ عن عالمنا.

- الزوجة : فَعَلت ذلك وأنت في دكان الفاكهاني؟ وأين وصلت؟
- الفيلسوف : (يفتح عينيه فجأة) لا أعلم أين كنت سأصل لأن تسلسل أفكارِي انقطع فجأة عندما حدث زلزالٌ عنيفٌ.
- الزوجة : (بدهشة) زلزال؟! في السوق؟؟
- الفيلسوف : هذا ما ظننت ولكن عندما فتحت عيني وجدت الفاكهاني يهزني بعنفٍ وهو يقول "استيقظ.. كيف تنام واقفاً؟" (يبتسم) لقد ظنَّ المسكين أنني نمت – وسألني ماذا أريد أن أشتري وفي تلك اللحظة جاءتني ومضةٌ فكريَّةٌ فتذكرت شيئاً واحداً كلانا نحبه.
- الزوجة : (باستغرابٍ شديدٍ) ما هو؟
- الفيلسوف : السفرجل!
- الزوجة : (بعدم اهتمام) صحيح، أذكر أنني كنت أحبه.
- الفيلسوف : وأنا أيضاً كنت أحبه وأخبرت البائع بذلك ولكن لم يكن عنده شيء منه، فحاولتُ إغرائي بشراء فاكهةٍ غير السفرجل ولكن هيهات! فقد استقرت الفكرة في ذهني ولم يُخرجها شيء.
- الزوجة : (بلا اكتراث) فماذا فعلت؟
- الفيلسوف : خرجت من ذلك الدكان ومررت بكل محال الفاكهة في ذلك المكان فلم أجد للسفرجل أثراً. ولكني لم أياسُ ومنعت نفسي من التفكير في ما سوى السفرجل بكل ما أوتيت من قوة كي لا أنسى، لأحقق تلك الغاية، ألا وهي إصلاح العلاقة بيننا؛ تخيلي شعورنا ونحن نأكل شيئاً لا يكرهه أحدنا.
- الزوجة : (بنفاد صبر) تخيلت، ثم ماذا حدث؟
- الفيلسوف : أخذتُ أتقل من شارعٍ إلى شارعٍ، ومن منطقةٍ إلى أخرى، فدخلت ما يربو على عشرٍ من محلات البقالة وتصميمي في العثور عليه يتزايد، حتى وجدت مطلبي في المحل الأخير (يتنفس بارتياح وسعادة) فاشتريت كل ما كان في المحل من السفرجل.
- الزوجة : (تشهق بدهشة وهي تنظر إلى الصناديق) واشتريت كل هذه الكمية من السفرجل؟
- الفيلسوف : لا طبعاً. لم أجد عنده إلا سفرجلتين وهما في ذلك الكيس الصغير.
- الزوجة : (صارخةً) إذن ما الذي يوجد في هذه الصناديق؟

الفيلسوف : دعيني أتذكر.. أعتقد أن بها.. ثلاجة صغيرة، و.. مكنسة كهربائية، و.. تليفزيون؟ نعم، تليفزيون متنقل. رأيت هذه الأجهزة في طريقي خلال رحلة بحثي عن السفرجل وتذكرت أنك طلبت إليّ شراء هذه الأشياء منذ مدة.. قصيرة..

الزوجة : منذ تسع سنوات!

الفيلسوف : ... منذ تسع سنوات ونسيت أن أحضرها، فاشتريتها اليوم.

الزوجة : (باستغراب) وهل ظننت أنني سأنتظر كل تلك السنين حتى ترى هذه الأشياء بالصدفة وتشتريها؟ لقد اشتريت كل ما نحتاجه منذ زمنٍ بعيد.

الفيلسوف : (بحيرة) إذن ماذا سنفعل بهذه الأشياء؟

الزوجة : (وهي تتفحص الصناديق بنظرها) لا عليك، نحن بحاجة إلى أجهزة جديدة.

الفيلسوف : (مسوراً) حسناً.

تلتقط الزوجة كيس السفرجل وتنظر داخله باحتقار.

الزوجة : هذا كل ما وجدته مع البائع؟

الفيلسوف : (بسعادة) نعم.

الزوجة : (تتحسسها من وراء الكيس) ولكنهما طريّتان، ربما كانتا فاسدتين.

الفيلسوف : قلت لك إنني لم أجد غيرهما ولاحظت أنهما قد تكونان فاسدتين ولكنني صممت على شرائهما إيماناً مني بأنهما ستقرّبان بيننا.

الزوجة : لن تُقرّب بيننا سفرجلتان فاسدتان وإنما ستقرّب بيننا هديةً ثمينةً تهديني إياها. (باستنكار) من قال إن السفرجل الفاسد يقرب بين الناس! (تنظر إليهما ثانية باحتقار).

الفيلسوف : ولكن، لو اشتريت لك هديةً خاصةً فلن نشترك فيها كما سنشترك في أكل هاتين السفرجلتين.

الزوجة : لو اشتريت لي شيئاً من المجوهرات لشاركتني النظرَ إليه ولو اشتريت لي سيارةً لشاركتني ركوبها، ومع ذلك فما الضرر في إسعادي وحدي، ألا يسعدك ذلك بحدّ ذاته؟

الفيلسوف : طبعاً، ولكن المبدأ الذي ارتكز عليه شراء السفرجلتين مختلفٌ وأنا لا أحب أن أخطأ بين الأشياء.

- الزوجة : (تضع الكيس فوق الصناديق وتجلس على الأريكة) ولكن الأشياء مختلطة بطبيعتها في عقلك يا زوجي العزيز!
- الفيلسوف : (وهو يجلس على الكرسي مقابل الأريكة) إن اختلاط الأشياء في عقلي مثل اختلاطها في العالم الخارجي المحيط بنا...
- الزوجة : الأشياء ليست مختلطة في العالم.
- الفيلسوف : بل إنها أكثر اختلاطاً في العالم منها في عقلي.
- الزوجة : (بتحدّي) إنها ليست كذلك!
- الفيلسوف : (بهدهوء) أنظري إلى الكرسي الذي أجلس عليه.
- الزوجة : أعرف أنه كرسيك المفضل، ما به؟
- الفيلسوف : من أين جاء خشبه؟ ومن أين جاءت المسامير التي تصل أجزاءه ببعضها؟ ومن أين جاء الإسفنج الذي يحشوه والقماش الذي يغلفه؟ وحتى القماش الذي يغلفه لم يأت من وبر حيوان واحد، والألوان التي صبغ بها ركبت من مواد كثيرة، بل وكل لون مركّب من جزيئات مختلفة الألوان، كل تلك المواد اجتمعت لتكوّن هذا الكرسي... ثم انظري إلى الناس، هل ترين بلداً واحداً منغلّق على أهله؟ وحتى الإنسان الواحد قد يكون دمه من بلدٍ وكيّته من بلدٍ آخر و...
- الزوجة : حسناً، حسناً ولكن الأشياء تمتزج في العالم بانسجامٍ أما في عقلك فهي تختلط في فوضى.
- الفيلسوف : أنت تشعرين أن الأشياء مختلطة في عقلي لأنك لا تفهميني، وهكذا الناس؛ عندما لا يرقى فكرهم إلى درجة فهم الآخرين وتفسير سلوكهم فإنهم يظنون أن القصور من الآخرين. لذلك، لكي تري أن الأشياء منظمة ومنسقة في عقلي يتعيّن عليك أن تكوني أنا.
- الزوجة : (مستهجنةً الفكرة) لا، لا! إعفني أرجوك، لا أريد أن أكون أنت.
- الفيلسوف : (شاعراً بالإهانة) لماذا؟
- الزوجة : أولاً لأنني لا أحب أن أقع في الحفر والمستنقعات وأعود إلى البيت بجروح وكسور...
- الفيلسوف : ثلم الوعاء وخذشه لا يؤثّر في ما يحتويه.
- الزوجة : وثانياً لأنني لا أحب أن تكون الأشياء مختلطة في عقلي.

- الفيلسوف : (بهدهوء) عندما تصرّين على مخالفتي أعرف أنك تريدني أن أغضب وأثور، ولكن هيهات أن أثور، فما الدنيا عندي إلا رحلة مُشرفة على الانتهاء لا تستحق أن يثور أحدٌ بسببها.
- الزوجة : (وهي تحاول جاهدةً كتم غيظها) وأنا أيضاً لن أثور فقد تعلّمت الصبر.
- الفيلسوف : (بصوتٍ منخفضٍ وهو يبتسم في سرور) هذه هي الخطوة الأولى.
- الزوجة : ماذا تقول؟
- الفيلسوف : لا.. لا أقول شيئاً.
- الزوجة : (متشككةً) ولكني سمعتك تقول شيئاً.
- الفيلسوف : لم يكن شيئاً ذا أهمية.
- الزوجة : لم أسمعك قط تقول شيئاً له أهمية ومع ذلك فأنا أريد أن أعرف ما قلته الآن.
- الفيلسوف : إذا كان كلامي عديم الأهمية فلماذا تصرين على معرفته؟
- الزوجة : أنا فضولية كما تعلم.
- الفيلسوف : سأخبرك إذا اعترفت أن كلّ كلامي هام.
- الزوجة : لن أدعي ذلك ولو قتلني الفضول!
- الفيلسوف : دعيني وشأني إذاً.
- الزوجة : لن أسألك عنه ولكن لماذا قلته وأنت لا تريدني أن أسمع... ولمن؟
- الفيلسوف : قلته لأنفسني لأعبّر عن بعض مكنونات نفسي.
- الزوجة : ألا تعرف نفسك مكنوناتها؟
- الفيلسوف : قد لا توجد في هذا العالم نفس تعرف مكنوناتها مثل نفسي ولكني أحتاج إلى الحديث مع نفسي كنوعٍ من التعايش مع الذات، كل الناس يفعلون ذلك.
- الزوجة : لا يفعل ذلك إلا المجانين.
- الفيلسوف : ألا تحلمين بأشياء كثيرة وأنت متيقظة وتقولين في سرّك أشياء كثيرة؟
- الزوجة : بلى.. أحياناً.
- الفيلسوف : إذن فأنت تتعايشين مع ذاتك.
- الزوجة : ولكنني أفعل ذلك بصمت! مثل بقية العقلاء.
- الفيلسوف : ولكننا أحياناً عندما ننفعل أو نثور أو نفرح نطلق صيحاتٍ أو عباراتٍ تعبّر عن مشاعرنا، ولا نستريح إلا إذا جعلنا هذا التعبير مسموعاً حتى لو كنا وحدنا في المكان.

- الزوجة : لا أعتقد أنك "شعرت" بشيء قط ولكن دعنا من هذا الكلام الآن. إقرأ جريدتك ريثماً أعد العشاء. (تقف).
- الفيلسوف : جريدتي!... أين جريدتي (يتلفت يميناً وشمالاً بحثاً عن الجريدة ثم يبدو كمن تذكر شيئاً فيظهر عليه الإحباط) لا بد أنني نسيت شراء الجريدة اليوم.
- الزوجة : لا تبتئس لذلك، إقرأ جريدة أمس لأنك حتماً نسيت كل ما فيها من أخبار.
- الفيلسوف : لم أنس إحضار الجريدة قبل اليوم. لم يحدث ذلك إلا بسبب البحث عن السفرجل.
- الزوجة : (بلا مبالاة وهي تلتقط الكيس) السفرجلتين الفاسدتين؟ (تتنظر داخل الكيس) إحدى السفرجلتين في هذا الكيس كبيرة والأخرى صغيرة، أيهما تريد؟
- الفيلسوف : إذا قلت إنني أريد الكبيرة فستظنين أنني أريد أن أخص نفسي بالأفضل وإذا قلت إنني أريد الصغيرة فستظنين أنني أريد أن أجعلك تأكلين الكمية الأكبر من الفساد.
- الزوجة : طبعاً سأفسر الأمر هكذا فأنا أعرف نواياك.
- الفيلسوف : لذلك سأترك لك الاختيار.
- الزوجة : طبعاً سنترك لي الاختيار فلا أحب إليك من وضعي في مواقف مُحيرة.

يتنهد الفيلسوف في ضيق.

- الزوجة : لا تبتئس، سأختار! والآن سأدخل لإكمال إعداد العشاء (تتجه إلى الداخل وهي تنتظر داخل الكيس باحتقار).
- الفيلسوف : لماذا تُعدّين العشاء بنفسك أين.. ما اسمها؟
- الزوجة : وردة؟ إنها تقضي إجازتها السنوية كما تعلم.. (لنفسها) ولكنك لا تعلم شيئاً! (لزوجها) أعني كما نسيت! (تدخل إلى المطبخ).

يأخذ الزوج أحد الكتب الموضوعة على المكتب ويفتحه ويقرأ.

ستار

Desalkhalifa.com